

المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري

الدكتور محمد خاقاني^١

محمدرضا عزيزي پور^٢

الملخص

مدح النبي (ص)، من الأغراض القديمة التي اهتم به الشعراء، فمنذ بزوغ فجر الإسلام حتى الآن عبّر الكثير من الشعراء عن عواطفهم الجياشة تجاه الرسول (ص) ودافعوا بشعرهم عن النبي الكريم(ص) ورسالته. وفي العصر الحديث نرى عدداً من الشعراء المهجريين المسيحيين ينشدون قصائد في مديح الرسول الكريم (ص) داعين العرب فيها إلى التسامح والتآخي ولم الصفوف.

تُرى ما هي الأفكار والخوافز التي حدت بهم إلى المديح النبوي؟ في الحقيقة أنّ بعض شعراء المهجر اعتقدوا بوحدة الأديان، فعلى هذا نظروا إلى النبي (ص) نظرة إجلال وإكبار.

وهناك عدد آخر من شعراء المهجر وهم الأغلب، أشادوا بالنبي (ص) الذي نقل العرب من غياهب الجهل والتخلف إلى فضاء العلم والنهضة، فتمنوا أن ترجع عصور الإسلام الزاهية من جديد. وأصبح النبي (ص) عندهم رمزاً للتعبير عن القضايا القومية. هؤلاء الشعراء جعلوا الوطنية ديناً والعروبة محوراً، فعروبتهم قادتهم إلى التسامح الديني والمديح النبوي.

التعرف على الثقافة الإسلامية والتأثر بها قد حدا ببعضهم أيضاً إلى المديح النبوي.

الكلمات الدلّيلية: المديح النبوي، شعر المهجر، الادب الملتزم.

١- استاذ مشارك بجامعة اصفهان.

٢- طالب في مرحلة الدكتوراه بجامعة اصفهان.

المقدمة

ينبغي علينا ونحن نتحدث عن المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري أن نأتي بلمحة وجيزة عن المديح النبوي وأسبابه في الشعر العربي، فمنذ بزوغ فجر الإسلام أقبل الشعراء على مدح النبي (ص) وآله معبرين عن عواطفهم الجياشة تجاه الرسول (ص) مدافعين بشعرهم عن النبي الكريم ورسالته فمنهم حسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم. وفي العصر الأموي وبعد المصائب التي أنزلها الأمويون بآل بيت الرسول (ص) قام العديد من الشعراء يعلنون ولائهم وحبهم للنبي (ص) وآله خاصة، فمن الشعراء الذين اشتهروا بمدح النبي وآله وأكثروا منه الفرزدق وكميت بن زيد الأسدي الذي يحتج في شعره لحقهم في الحكم ويصور ما أصيب به آل البيت من محن وكوارث. وفي العصر العباسي نجد شعراء بمدح آل البيت وآله خاصة، منهم الشريف الرضي ومهيار الديلمي وكذلك دعبل الخزاعي الذي عُني بالتصوير المؤثر لمصائب آل البيت خاصة في تأنيته الشهيرة.

وفي العصر المملوكي زاد الإقبال على المديح النبوي وصار غرضاً ينظم فيه الشعراء فلوّنوه بلون جديد وضمنوه الكثير من الحكم والأمثال. فنرى محمد بن سعيد البوصيري ينظم مدائح نبوية، فمن أشهر مدائحه الميمية (البردة) وهي من أفضل القصائد في المديح النبوي لروعة معانيها ودقة ألفاظها، وحسن سبكها، وبراعة نظمها وعاطفتها الصادقة المتميزة، عارض بها قصيدة كعب بن زهير ومطلعها:

أمن تذكر جيرانٍ بذِي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

(الطباع، ٢٠٠٤، ص ٢١٢)

ولقد أثرت ميمية البوصيري في المدائح النبوية تأثيراً عميقاً وكانت خير مثال يحتذيه الشعراء لينسجوا على منواله، ويسيروا على فمحه وكان الكثير منهم يسرعون في تقليد هذه الميمية وتشطيرها وتخميسها وتسييعها وبذلك نشأت البديعيات في هذا العصر، وهي قصائد من بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل) في مدح النبي (ص) يشتمل كل بيت منها على نوع بديعي، «فمنشأ هذه البديعيات بردة البوصيري إذ عمد الشعراء بعده إلى معارضته وتفوقه بإظهار قدرتهم في البديع ولكنهم لم يوفقوا إلى الإحادة فجاءت هذه البديعيات صوراً مشوهة من التكلف المقوت». (خفاجي، ١٩٩٠، ص ١٠٨)

وكان الشعراء يلتذون في البديعيات بذكر مناقب النبي ومكارمه ومعجزاته ويتشفعون به. وهناك عوامل أدت إلى نمو هذا النوع من المديح، فالحياة الاجتماعية السائدة، وما فيها من فقر وحرمان، كانت من العوامل التي أدت إلى ظهوره، يضاف إلى ذلك الوضع الاقتصادي السيئ الذي كانت الأقاليم ترزح تحت وقره، واضطراب الحياة السياسية في معظم الأحيان بسبب النزاع بين السلاطين

والأمراء، أو وقوع خطر من قبل الأعداء في الشرق والغرب. هذا مع ما كان يحدث من كوارث طبيعية تحلّ بالبلاد، جعل الناس يهرعون إلى معازل الاستغفار يتوبون إلى الله، ويتشفعون بالرسول الكريم (ويتوسلون إليه كي يفرج عنهم الكرب)». (باشا، ١٩٧٢، ص ١٠٣)

فمثل هذه العوامل أدت إلى ازدهار المدائح النبوية في تلك السنين.

وفي العصر الحديث نرى بعض الشعراء يهتمون بالمديح النبوي (ص) ويتناولون صوراً من حياته وصفاته في أشعارهم ويتأسون به في قيمه الروحية ومثله العليا فهو القدوة للمؤمنين عبر القرون والأعصار فشخصية النبي كانت محوراً لأعمال أدبية جمّة وهناك الكثير من الشعراء يتسابقون في معارضة البردة؛ فمن أشهر الذين عارضوا البردة محمود سامي البارودي بقصيدة سماها «كشف الغمة في مدح سيد الأمة» ومن ثمّ أحمد شوقي بقصيدة سماها «نوح البردة» مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

(كبا، ١٩٩٥، ص ١٢١)

ولنكتفي بهذا القدر إذ يطول بنا المقام لو اننا حاولنا الاستشهاد على جميع القصائد التي أنشدت في مديح خير البرية.

المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري

هناك عدد من الشعراء المهجريين أنشدوا قصائد تفوح حباً، ومودة للنبي (ص) يشيدون فيها بالإسلام الذي يتسم بالحب والإخاء والتسامح ومدحون رسوله الكريم (ص) ويدعون العرب والمسلمين إلى تمّ الصفوف والابتعاد عن الفرقة والشتات ويستحثونهم فيها لاستعادة أمجادهم القديمة ويجرضونهم على النهوض من عثراتهم ونكساتهم داعين إلى التسامح والتآخي بين المسلمين والنصارى، حتى يعتلي الشرق ويرفع رأسها عالياً مزهواً من جديد ولم يكن هؤلاء بمدحهم هذا يتوخون التزلّف إلى الحكام فجاء مديحهم صادقاً فشخصية النبي المتميزة الفذة هي التي تجذب الأديباء والمفكرين، والرسول (ص) يجسد الإنسانية في قوله وفعله وحروبه وحياته وهؤلاء كانوا عرباً يعرفون الإسلام، فالإسلام دين السلام والرحمة والإنسانية، دين ينبذ الغلظة ويحضّ على السماحة ويأمر بالتراحم والتآلف ويعترف بوجود الآخر ويُقرّ حقه في التدين ويدعو إلى التعامل معه بلطف وإحسان وينهى عن سبه والتحرّش بدينه، وكذلك يدعو الإسلام أتباعه إلى الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والإلفة والأمانة ويحثهم على الالتزام بها، فهناك آيات تدعو إلى التسامح وحسن الرفق مع الآخرين يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا

الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم» (فصلت/ ٣٤) «وقولوا للناس حسناً». (البقرة/ ٨٣) والتسامح هنا لا يعني التنازل عن المعتقد وإنما يعني القبول بالآخر والتعامل معه على أسس العدالة والمساواة بصرف النظر عن أفكاره. وفي سلوك النبي (ص) نجد التسامح بين البشر يصل إلى ذروته فعندما استطاع النبي أن يدخل مكة منتصراً عفا عن المشركين وقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

(الاسكندري، ١٩٥١، ص ١٧٦)

وُلد الأدياء تعرفوا على الإسلام وكان البعض منهم يرثلون القرآن ويقتسون منه ويستشهدون ببعض آيات القرآن في شعرهم ويتأثر أسلوبهم في الكتابة منها وينظمون القصائد في الأعياد الإسلامية. فهذا هو الشاعر القروي فإنه بعد قراءته لسورة القمر يتأثر بالأسلوب القرآني وينشد القصيدة التالية:

يا نكسن اقتربت السا عة وانشق القمر
أعرضت عن آياتنا وقلت سحر مستمر

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٢٠١)

وكذلك نجد الشاعر المهجري جورج صيدح يكتب قصيدة عنوانها «محمد» يمدح فيها النبي (ص) ويشيد بمواقفه السامية ومنجزاته النبيلة وفيها يستنهض الشاعر الأمة، كما تتردد فيها أصداء الآيات القرآنية:

وجه أطلّ على الزمان لألاؤه شقّ العنان
فيه شعاع النيرا ت وفيه أنفاس الجنان
مَنْ ذا رأى طفلاً يُنا غي الله بالسبع المئان
يا صاحبيّ بأيّ آ لاء السماء تكذبان؟

(الكيالي، ١٩٦٨، ص ٢٧٦)

ثم يتحدث عن ليلة الإسراء ويمتدح مديحه بقضية القدس الشريفة التي تطأها أقدام مشينة فيطلب منه أن يجدد العزّ والفخر ويحرّر القدس من دنس الصهانية الغزاة ثم يتأسف على حال العرب ويقول: أما علمتمهم دفع المهانة بالسنان؟ أما وعدتم بجنات وحسان؟ فلماذا صار حال بعض العرب كالقطعان المشردة:

يا من سرّيت على البراق وجزت أشواط العنان
آن الأوان لأن تجدد ليلة المعراج آن
عرّج على القدس الشريف ففيه أقداسٌ تمان

(الكيالي، ١٩٦٨، ص ٢٧٨)

ثم يختم الشاعر القصيدة بأدعية يتمنى فيها أن يبارك الرسول(ص) جهاد المؤمنين النافرين إلى الطعان ويعينهم على الظالمين ويصون فلسطين من أذى الأعداء الحاقدين:

بارك جهاد المؤمنين	النافرين إلى الطعان
الضارعين إليك باسم	الآل والصحب الغران
ويوم مولدك السني	وبحقّ موحيك القرآن
أن لا تصون دماءهم	وامنح فلسطين الصيان

(الكيالي، ١٩٦٨، ص ٢٧٩)

ونجد إيليا أبا ماضي يضمن بعض شعره آيات من القرآن الكريم أو تعبيرات مشتقات منه:

ما بال قومي كلما استصرختهم وضعوا أصابعهم على الآذان

(ميرزا، ١٩٦٣، ص ٧٢٠)

فعجز البيت مأخوذ من قوله تعالى: «وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً» (نوح / ٧) ففي هذا البيت لم يغير إيليا أبو ماضي سوى بعض الكلمات، فقد بدل (جعلوا) بـ (وضعوا) و(في) بـ (على) و(آذانهم) بـ (الآذان). وهذا ينشأ من أنه كان في شطر من حياته يقلد القدماء في أساليبهم.

ولم يخائيل نعيمة مقال في «الزهد والزاهدون» يذكر فيه قول الإمام علي (ع) في الزهد في الدنيا ويقول: «وقول الإمام عليّ، وهو كذلك قليل من كثير: إن دنياكم لأهون عليّ من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلّي ونعيم يفتني، ولذّة لا تبقى؟» (نعيمة، مقالات متفرقة، ص ٢٥٧)

ونرى بعضهم مثل القروي وأيّ الفضل الوليد ورياض المعلوف يتأثرون بالثقافة الإسلامية، فهذا التأثير واضح في شعر القروي وإنه ليعترف بذلك قائلاً: «لم تكن لدى فكرة سوية عن الرسول العربي ولا قرأت كتابه وحديثه حتى أتاني الله فضله على يد هذه الأنسة نظيرة زين الدين تكرمت عليّ سنة ١٩٢٧ بكتابتها (السفور والحجاب) فأماطت عن بصيرتي حجاباً من الجهل كثيفاً وحلّقت بي إلى سماء من تراثنا الروحي لم تكن خطرت لي على بال. وأيّ أديب يهيم بالحكمة وساحر البيان، لا يخزّ ساجداً للحديث الشريف ومعجز القرآن». (مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٤٥)

في قصيدة بعنوان «الربيع الأخير» نظمها القروي سنة ١٩٣٢ يفتخر بكلا النبيين عيسى (ع)

ومحمد (ص) ويقول:

نور المسيح تجلّى من مذاودنا وسيف أحمد من صحرائنا شهرا

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ١٩٠)

ويلقى كلمة بمناسبة ذكرى هجرة الرسول، يبين رأيه تجاه الإسلام ونبيه وفيها يقول: «يا محمد يا نبي الله حقاً يا فيلسوف الفلاسفة أجمعين وسلطان البلغاء المعربين؛ يا أحكم الحكماء، وأعظم

المصلحين وأنبلهم مطلباً، وأبعدهم غاية، وأصدقهم دعوة، وأهداهم سبيلاً، يا نبي الله حقاً! يا مجد العرب! يا مجد الإنسانية، دينك دين الفطرة،...رسالة تتفائل بالحياة وتملأ للنور وتبارك الجمال، وترهف الحس وتطلق الخيال، تقُدس العلم، وتغري بالطموح، وتدفع إلى الرقي وتحتّ على الكسب الحلال، وتبعد عن اليأس، وتزه عن الرياء، وتقرب من عرش الله. أيها الأخوات والإخوان، إني لموقن أن الإنسانية بعد أن يثست من كل فلسفاتهما. وقتطت من كل مذاهبها ونظرياتها سوف ترى أن لا مخرج لها من مآزقها، ولا راحة لروحها، ولا صلاح لأمرها إلا بارتائها في حضن الإسلام».

(قاسم، الشاعر القروي، ص ١٦٦)

وفي الأبيات التالية من قصيدة «ونحن أعطينا القلم» التي ألقاها في عيد المولد النبوي سنة ١٩٤٠ يفتخر القروي بعظمة الإسلام والعروبة وتنتشي روحه مجدداً ويقول: كنا نسود الشعوب ونمدن الأمم، عندما كان الغرب يتخبط في الظلام والخيبة.

نحن الألى سُدنا الشعوبَ	ونحن مدنّا الأمم
طلع الهدى من شرقنا	والغرب يخبط في الظلم

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٤٠٦)

ونجده يتحسّر على عصور الإسلام الزاهية، متمنياً أن تعود تلك الأيام النيرة المشرقة مقرناً السلام على النبي (ص) في قصيدة سماها «عيد البرية» يقول فيها:

يا فاتح الأرض ميداناً لدولته	صارت بلادك ميداناً لكلّ قوي
يا قوم هذا مسيحي يذكركم	لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرمه	فبلغوه سلام الشاعر القروي
يا حبذا عهد بغداد وأندلس	عهد بروحي أفدي عوده وذوي
من كان في ريبة من ضخم دولته	فليتسل ما في التاريخ روي

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٤٧٠)

هؤلاء الأدباء كانوا يخطبون وينشرون الأشعار في الحفلات الدينية الإسلامية ويستلهمون من التراث الإسلامي كما يقول جورج صيدح: «وكانوا يستلهمون آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم، وكلمات الإمام علي، وتاريخ الفتوحات والأبجد العربية في عهد الإسلام حتى يبعثوا في نفوس المهاجرين شعور الاعتزاز بترائهم القديم، ويشعلوا فيها شرارة الحنين إلى الديار، ويوجهوها إلى طريق البذل والتضحية في سبيل القضية العربية. هؤلاء الشعراء أطفال كبار تغذوا بالثقافة الإسلامية دون سواها من الثقافات، فلم يتعلموا غير اللغة العربية، ولم يقرؤوا سوى آداب العرب القدامى، فقادهم

شغفهم بالبيان العربي إلى الشغف بالأعجم العربية، إلى الشغف بدين الإسلام اللاصق بها في جميع أدوار تاريخها. تأمل أن شاعراً مارونياً في المكسيك، محبوب الخوري الشرتوني، ابن خوري وحفيد خوري وريب ثلاثة مطارين من أسرته، يقول:

قالوا تحبُّ العرب قلت أحبهم
يقضي الجوار عليّ والأرحام
ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين إمام»

(الأشتر، ٢٠٠٢، ص ١٢٤)

نعم هؤلاء الشعراء احترمو الثقافة الإسلامية وتأثروا بها واعتزوا بها لأنها ثقافة ذات قيم إنسانية سامية ولأنهم رأوا روح العروبة وأمجادها فيها. حتى أن بعضهم اعتنق الإسلام عن يقين خالص وترك المسيحية، فأبو الفضل الوليد آمن بالإسلام ووقف نفسه للدفاع عنه وأمجاده وكتب قصيدة تائية يجاري فيها تائية ابن الفارض، فيها بمدح النبي (ص) ويتوسل بالقربى إليه، ويقول:

أعاهد ربي أن أصلي مسلماً
هداني هواها ثم حبب شرعة
فمن قومه قومي، أدين بدينه
توسلت بالقربى إليه فلم تضع
على أحمد المختار من خير أمة
إليّ فصحتُ مثل حيي عقيدتي
لأني أرى الإسلام روح العروبة
لدى العربي الهاشمي شفاعتي

(فهمي، قضايا في الأدب والنقد، ص ١١٠)

ويتخيل الأمة العربية راقدة وهو مثل اسرافيل ينفخ في الصور ليوقظ من في القبور، ويروي لنا قصة رؤيا نبوية طافت في خياله يقول فيها:

«تشوقتُ حتى زارني الطيفُ مؤنساً
وأشرقَ نورُ الطلعةِ النبويةِ

فما إن يبلغ الجنة حتى يرى الملائكة على أبوابها قد لبسوا أفخر حلة، فيدخل ويشرب من رحيق الحور العين والولدان بأكواب من در، وقوارير من فضة، ويسمع صوتاً يناديه: «دعوتك فاسمع أنت صاحب دعوة»:

وكن منذراً بين الورى ومبشراً
تشجعْ وآمنْ يا وليدُ فأنت لي
وقل لجميع المسلمين تجمعوا
وبلِّغ جميع المسلمين وصيتي
رسولٌ وفي الإبلاغ فضلُ الرسالةِ
وصونوا وقارَ الأمة العربيةِ»

(فتوح، ١٩٩٤، ص ٤٠)

وفي مكان آخر يخاطب الشاعر أبو الفضل الوليد فاطمة الزهراء معتزاً بعقيدته الجديدة:

أيا بنت النبي رفعت قدري
بتقريبي إلى الملائكة العلي

وقد جردت من شعري سيوفاً
تذود عن الضريح اليثري
فقلت أنت بالإسلام أولى
فصلّ وسلمن على النبي

(عبد الدائم، ١٩٩٣، ص ٢٨١)

وله قصيدة عنوانها (المقدسية) يهدد الصهاينة فيها متحدثاً عن ليلة الإسراء مخاطباً القدس قائلاً:

هل تستقر جماهير اليهود إذا
دعوت يوماً أبا حفص فلباك
وافاك في ليلة المعراج سيدنا
محمد و كتاب الله سماك

(عبد الدائم، ١٩٩٣، ص ١١٠)

وكذلك يوضح لنا رياض المعلوف تأثره بالثقافة الإسلامية في رسالة بعثها إلى أحد الكتاب يقول فيها: «ويجوز أن يكون للتصوف المسيحي والإسلامي أثره في مؤلفاتنا نحن الثلاثة فوزي وشفيق ورياض، لأننا ربينا بين المطبوعات والمخطوطات في مكتبة عيسى اسكندر المعلوف التي تضمّ عشرين ألفاً من المطبوعات النادرة وألفاً من المخطوطات النفيسة. وهكذا ترعرعنا بين هذه النفائس الفكرية والشعرية والروحية، فعشنا هكذا لنا عين على الإنجيل وعين على القرآن الكريم، فجمعنا ما بين الحضارتين العظيمتين... وصوفيتهما وروحانيتيهما وعزتهما».

(عبد الدائم، ١٩٩٣، ص ٨٦)

هؤلاء الشعراء كانوا يشاركون الحفلات في المناسبات القومية وينشدون أشعارهم التي يتغنون فيها بماضي العرب ومجد الإسلام، فإلياس فرحات شاعر آخر من الشعراء المهجريين، وله قصيدة عنوانها «يا رسول الله» تتسم هذه القصيدة بعاطفة جياشة ونظرة سامية بعيدة عن التعصب الطائفي بمدح فيها النبي (ص) فيصفه بأنه كوكب دري سطع في غياهب الجهل، يقول فيها:

غمر الأرض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت في مكة للنور كوة
إن في الإسلام للعرب علا
إن في الإسلام للناس أخوة

(قطامي، إلياس فرحات، ص ١٣٣)

وفي مكان آخر، يفتخر بعظمة الإسلام ويقول:

سلام على الإسلام أيام مجده
طويل عريض يغمر الأرض و السما

(الأشتر، ٢٠٠٢، ص ١٢٤)

وكذلك نرى الشاعر المهجري إلياس قنصل يشيد بالرسول الكريم في قصيدة النبي العربي ويقول

فيها:

إني ذكرتك يا محمد ناشراً
روح الأخوة في بني الإنسان

يعلو بلال العبد أشرف قبة ليذيع منها أشرف الألحان
حقّ المواهب أن يقدر أهلها لا فرق في الأجناس والألوان

(خفاجي، ١٩٨٦، ص ٢٦٥)

وبعد ما يصف عظمة الإسلام وبعض مناقب الرسول (ص) يعترف الشاعر بعجزه في تعداد مكارم
خير البرية قائلاً:

ماذا أعدد من مناقب كلها شرف أعدّ النجم في إمكاني؟
كانت حياتك كلّ ثانية لها تاريخ مجد طائل نوراني

(خفاجي، ١٩٨٦، ص ٢٦٦)

ومن ثم يتحسر الشاعر على عصور الإسلام الزاهية وقيادته الرشيدة ويتمنى لو أن قائداً يعيد مجد
الوطن ثانية ويقول:

يا للعروبة هل تفوز بقائد يدعو فتسمع نخبة الفتيان
ويعيد للوطن العزيز كرامة كادت تكون قسيمة النسيان

(خفاجي، ١٩٨٦، ص ٢٦٦)

وفي حفلة أقيمت بمناسبة المولد النبوي الشريف تجد الشاعر نصر سمعان يشبّه الرسول بكوكب
رحّب الوجود به ويقول: إن الله شاهد بأن كلنا أصبحنا أتباعه في سبيل الحق والعلى ثم يشكو الشاعر
تراجع الأمة عن ماضيها المجيد ويقول:

كوكب رحّب الوجود به يو م تجلى على الوجود شعاعه
شهد الله أننا في سبيل الـ حق والمجد كلنا أتباعه

(أدب المهجر، عيسى الناعوري، ص ١١٨)

وفي أثنائها يشكو إلى الرسول من تقاعس أمته في حاضرها، فيقول:

أعيدك أن تكون رسول قوم أضاعوا ما وقفت عليه جهدك
فقم إن العروبة رهن ضيم أطال وصاله وأطلت صدك(١)

(أدب المهجر، عيسى الناعوري، ص ١١٨)

ففي هذه الأبيات اغتنم الشاعر مناسبة ميلاد النبي وتحدث فيها عما آل إليه حال العرب وناجى

الرسول

١ - حاد الشاعر عن الصواب عندما قال: «أطلت صدك (وهذا) تعبير غير مناسب لأن الذين أطالوا
صدّهم عن تعاليم النبي عليه

السلام هم المسلمون المقصرون وغيرهم من الذين لم يعتنقوا دين الإسلام».

(عبد الدائم، ١٩٩٣، ص ١٠٤)

(ص) لجمع شتات العرب.

وكذلك نرى ميشيل المغربي يمدح النبي ويوضح فضل الإسلام على العرب حيث انه حفظ العربية

من الزوال ويقول مادحاً:

يا من طلعت على الفصحى وأمتها
بجير دينٍ يضمُّ الدهرَ سرمدُهُ
الضَّادُّ لولاك ما كانت مخلدَةً
ولا رواها جمالاً أنتَ موردُهُ
إن كان للغربِ عرفانٌ وفلسفةٌ
فالشَّرْقُ يكفيه ما أعطى محمدُهُ

(الأشتر، ٢٠٠٢، ص ٣٤)

ونجد الشاعر رياض المعلوف يخاطب النبي (ص) ويقول:

يا نبي الأعراب والإسلام
عيدك اليوم بهجة للأنام
أنت يا صاحب الرسالة فخر
أنت أهل للمدح والإكرام
تنثر الحكمة البليغة شعراً
عريباً يطيب للأفهام (١)

(عبد الدائم، ١٩٩٣، ص ٢٧٥)

ونأتي إلى شاعر مهجري آخر وهو حسني غراب فنراه يمدح النبي (ص) قائلاً:

شعلة الحق لم تزل يا محمد
منذ أضرمت نارها تتوقد
غمر الأرض نورها فإذا رمت
دليلاً فعد إلى الأرض واشهد
جئت والناس في ضلالٍ وغيٍّ
ومن الهدى في يديك مهتدٌ

(خفاجي، ١٩٨٦، ص ٧٢٥)

تُرى ما هي الأفكار والحوافز التي حدثت بهم إلى المديح النبوي؟ في الحقيقة أنّ بعض شعراء المهجر يعتقدون بوحدة الأديان أي أنّ الحقيقة الكامنة في باطن جميع الأديان والشرائع واحدة وانها تشبه الأغصان التي تنفرع من جذع واحد والأصابع التي تنفرع من الكف الواحدة. فلهذا ترى زعيم أدباء المهجر جبران خليل جبران يدعو إلى التسامح ونبت العصبية الطائفية والفرقة، على أساس توحيد الأديان، إنه مؤمن بوحدة الأديان ويؤكد

١- يؤخذ على الشاعر عدم التأمل في اختيار الألفاظ حيث انه استخدم نبي الأعراب، فكلمة الأعراب في المفهوم الإسلامي تدلّ على الكفر والنفاق كما جاء في القرآن: «الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً».

(توبة/٩٧)

ثانياً: انه قال نبي الأعراب وليس رسول الله نبياً للعرب فقط بل انه خاتم النبيين أرسله الله رسولاً للناس أجمعين. ثالثاً: كلام رسول الله والقرآن ليسا شعراً كما قال سبحانه: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له». (يس/٦٩)

على ذلك في «ارم ذات العماد» ويقول: «إذا جردنا الأديان عما تعلق بها من الزوائد المذهبية، والاجتماعية وجدناها ديناً واحداً، وقالت آمنة: مهما تباينت الأساليب فمحنة جميع البذور تطلّ واحدة، الوقوف أمام وجه الشمس، والشمس رمز الروح الكلية. (وكذلك) قالت آمنة العلوية نجيب: قل لا إله إلا الله، ولا شيء إلا الله وكن مسيحياً». (أبو فاضل، ٢٠٠٤، ص ٥٨)

وفي مكان آخر يقول: «أنت أخي، وكلانا ابن روح واحد قدوس كلي ... أنت أخي وأنا أحبك ساجداً في جامعك، وراكعاً في هيكلك، ومصلباً في كنيستك». (جبر، ٢٠٠٢، ص ٤١١)

وكان جبران يحب النبي (ص) لأنه يراه بطلاً من أبطال التاريخ ولم يكن يُميّز رسولاً من رسول، فوحّد بينهم، يقول جبران: «أنا مسيحي ولي الفخر بذلك ولكنني أهوى النبي العربي وأكبر اسمه وأحبّ مجد الإسلام وأخشى زواله. ... خذوها يا مسلمون، كلمة من مسيحي أسكن يسوع في شطر من حشاشته ومهدداً في الشطر الآخر». (طالب، ٢٠٠٢، ص ٣٤٨)

وينظم رشيد أيوب هذا الكلام شعراً ويقول:

أصلي لموسى وأعيد عيسى
وأتلو السلام على أحمد

(حسن، ١٩٨٥، ص ٦٠)

وكان جبران ينظر نظرة إكبار وإجلال إلى الإمام علي (ع) لأنه «بطل من الأبطال الحقيقيين، وليس هو مجرد

بطل فاتح بالسلاح. وعليّ هو أول عربيّ لازم الروح الكلية، وجاورها، وسامرها».

(أبو فاضل، ٢٠٠٤، ص ٢١)

وقال نعيمة عن النبي محمد (ص) وعلي (ع): «كانا على موعد مع النور والخير والصلاح».

(نعيمة، مقالات متفرقة، ص ٢٨٣)

وكذلك يعتقد شكر الله الجر بتساوي الأديان وله أبيات تبين عن سعة نظره في الأديان ووحدها، يقول فيها:

إني أحبُّ محمداً
وأحبُّ بينهم علياً
وأحبُّ موسى والمسيح
سيّد القلم الفصيح

(أبو فاضل، ١٩٩٢، ص ١٠٩٢)

وهكذا نرى بعضاً من المهجرين يعتقدون أن الرسائل الدينية السامية لا تتناقض في جوهرها وغايتها ولا يجد فروقاً بين الأديان فهي جميعها في نظرهم واحدة، مادام الهدف منها الارتقاء بالإنسان وتوجيهه إلى معرفة ذاته.

محمل القول إن بعضهم يعتقد أن الأديان ما جاءت لتفرق الناس وتزيدهم ضللاً بل لتمزق الغشاوات التي كانت على أبصارهم وبصائرهم عساهم يدركون أن مصدرهم واحد. فعلى أساس وحدة الأديان كانوا ينظرون إلى النبي نظرة إجلال وإكبار.

وهناك عدد آخر من شعراء المهجر وهم الأغلب، تغنوا بالماضي وشكوا مما آل إليه حال العرب وحاولوا استنهاض الهمم واستحياء مواقف العزة في التاريخ، فبدأوا يشيدون بالنبي العربي الذي حمل لواء الديانة الإسلامية فحطم أوثان الشر والفساد ونقل العرب من غياهب الجهل والتخلف إلى فضاء العلم والنهضة، فتمنوا أن ترجع تلك العصور الزاهية من جديد. فإلني أصبح عند بعضهم رمزاً للتعبير عن القضايا القومية.

هؤلاء الشعراء تفانوا في سبيل عربوتهم فكانوا ينظمون الشعر الوطني، ومنه ذو الطابع الإسلامي، باعتبار أن ذلك لا يتجزأ من تاريخهم وحضارتهم وعنصر لغتهم، فعربوتهم قادتهم إلى التسامح الديني والمديح النبوي. فالتسامح الديني والحرية الدينية إحدى سمات المدرسة المهجرية فقد قام المهجريون ينشرون التسامح في الدين ويدعون إلى الحرية في التفكير والتعبير بعيداً عن التعصبات العمياء أو الطائفية البغيضة التي كبلت أهلهم في وطنهم، هؤلاء الشعراء كانوا يؤمنون بالعروبة وأن لساناً واحداً يجمعهم فيجب ألا يتفرقوا بالمذاهب ما دام هم إخوة في العروبة.

فأبرز سمة في دين هؤلاء الشعراء هي التسامح، فالله ربّ الجميع ولا فضل لذي ملة على أخرى. هؤلاء الشعراء كانوا يرون أن الدين يجب أن لا يكون مصدراً للشقاق، ويؤمنون بأن الدين لن يختلف بينهم، ماداموا متمسكين بعلم العروبة. فحاولوا أن يجمعوا شمل العرب تحت لواء العروبة ودانوا بدين الوطنية، يقول القروي في قصيدة «عيد الأضحى»:

رحمة الله على كلّ فتى عربيّ راح للعرب ضحية
وليعد فينا وفي أعقابنا عيد إيمان بدين الوطنية

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٤٧٩)

ويرى أن «العروبة شعار الأمة العربية، روحها، وشمس أوطانها، ومهوى أفئدتها، وملتقى ما تعدّد

من أقاليمها ولهجاتها. العروبة دين الأمة الشامل». (قاسم، الشاعر القروي، ص ٣٣)
ومثله جورج صيدح الذي اتخذ دين العروبة ديناً فقال:

واعتنقنا دينَ العروبة ديناً واطرحنا لزومَ ما ليس يلزم

(قرة علي، ١٩٥٤، ص ١٨٣)

هؤلاء الشعراء كرهوا التعصب الديني والنعرات الطائفية إذ أنهم يرون الموت والهوان وتمزيق شمل الأمة في التعصب الدينية، يقول محبوب الشرتوني:

كل شعب فشا التعصب فيه هان والموت من وراء هوانه

(المدسي، ١٩٩٨، ص ٢٨٤)

وهكذا كان بعضهم يلحون على التسامح الديني ويدعون إلى الوئام وحسن التفاهم والقضاء على النعرات الطائفية ووجوب احترام المعتقدات الدينية للجميع ويسعون في طرح علاقات جديدة ما بين المسيحي والمسلم وتقديم الروح الوطنية على الروح الدينية. فلهذا تجدهم يرفضون التعصب، يؤمنون بالقومية العربية، يدينون بالحب والتسامح والإنسانية، لا يفرقون بين الرسل فأحبوهم أجمعين.

هؤلاء الشعراء رأوا الفرقة والخلافات الطائفية بين أتباع الديانات وذاقوا من العذاب ألواناً فمثل هذه العوامل جعلتهم ينفرون من التعصب الدينية وأدى بهم إلى عدم التفريق بين الأديان، فالأنبياء كلهم محترمون. فرشيد أيوب مثلاً يفتخر بعروبته وبماضيها وبالنبي الكريم محمد (ص) الذي كان أرفع الناس مجداً وأسماهم مناقباً كما نراه يفتخر بالخلفاء الذين جاؤوا من بعد النبي (ص) وأقاموا العدل بين الناس ووسعوا رقعة الإسلام ونشروا رايته وأبدوا شجاعة فائقة في الحروب:

فمن يا تُرى أعلى الورى كمحمد وأرفعهم مجداً وأسمى مناقباً
ومن مثل من قادوا الخلافة بعده وكانوا لصرح العدل منه جوانباً
ألسنا الألى سادوا العباد ودوخوا البلاد وأبدوا في الحروب عجائباً

(سراج، ١٩٦٤، ص ٢٢٠)

وتشيع في أقوال الكثيرين منهم عاطفة النفور من التعصب الدينية، فأكثر هؤلاء الشعراء، دعوا إلى التعايش بين الأديان وجعل الوطنية ديناً والعروبة محوراً. وكان تأخي الأدباء ورفع مستوى العقلية العربية، مكافحة التعصب ونقض التقاليد التي تنافي روح العصر من مبادئ العصبية الأندلسية، فلهذا ليس عجيباً أن نرى أعضاءها يسرون وفق هذه المبادئ فينادون بالتسامح ونبتد التعصب. هؤلاء المهاجرون حاولوا التمسك بكرامتهم الوطنية ورأوا الدين حسن المعاملة مع الناس وأعجبوا بالتراث العربي والإسلامي ونادوا بالإبتعاد عن التعصب ورأوها عاراً على البشرية. يقول فوزي المعلوف:

تَعْصَبُ النَّاسُ هَذَا عَارُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ

(أبو فاضل، ١٩٩٣، ص ٢٢)

وكان بعض هؤلاء المهاجرين يكررون ويعيدون «شعار "الدين لله والوطن للجميع" فهذا الشعار اقترحه بطرس البستاني في (نفيير سوريا) سنة ١٨٦٠». (أبو فاضل، ١٩٩٣، ص ٢٣)

وحاولوا استبدال دين الوطنية بالأديان التقليدية التي جهل بعض أتباعها فحواها. فباتحاد المآذن والقبب والتجمع تحت راية الوطنية واعتبار الدين أمراً شخصياً، ستحل مشكلة التعصبات الدينية وترتقي الأمة العربية، يقول فوزي المعلوف في قصيدة «أماي المهاجر»:

تالله لا نرتقي إلا متى اتحدت تلك المآذن في الأوطان والقبب

(عبد الشهيد، ١٩٧٥، ص ٢٣)

فالشاعر المهجري، فهم أن الخلافات الدينية شرّ عظيم يجب القضاء عليه فدعا إلى التجمع حول راية واحدة هي راية الوطن لبناء مجتمع أفضل. ففكرة القومية العربية أزلت التعصبات الدينية وأصبح المسيحيون يشاركون حفلات المسلمين وينشدون المدائح في وصف سيد المرسلين ويعبرون عن إعجابهم بمحمد (ص)، يقول رياض المعلوف:

وَحَدَّ اللَّهُ فَالْمَوْذَنَ وَحَدَّ وَبذَكَرَ النَّبِيَّ فِي الْعِيدِ أَنْشُدْ
يا رسولَ الأنام أنتَ وعيسى خَيْرٌ مَنْ يُصْطَفَى وَيُرْجَى وَيُقْصَدُ

(أبو فاضل، ١٩٩٢، ص ١٠٠٦)

وكان إيليا أبو ماضي يحلم بدين التسامح، ويتخذ دين المحبة دينه ويقول:

أنتم بنو وطني وأنتم إخواني وأنا امرؤ دين المحبة ديني

(ميرزا، ١٩٦٣، ص ٧٤٨)

وفي أبيات أخرى يتحدث عن عدم تعصبه ويدعو إلى المحبة وكف الأذى عن الآخرين وينادي بالوفاق وتطهير القلوب من الأدران، ويدعو في قصيدة «الحرب العظمى» إلى التسامح الديني ويقول:

تَبَّاعَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحَ هَوَادَةَ ما العهد أن يتنكر الأخوان
الله ربَّ الشرعتين وربكم فإلى متى في الدين تختصمان
فخذوا بأسباب الوفاق وطهروا أكبادكم من لوثة الأضغان

(ميرزا، ١٩٦٣، ص ٧٣٧)

ويتخذ الشاعر من الطبيعة ديناً يعلمه التسامح حيث ان الغيث مثلاً يروي الجميع ويسقي الجميع صالحين أم طالحين فلا يفرق بين أحد بل انه يبذل لهم ودّه وسخائه، فدين التسامح

والعطاء والمحبة إلى الجميع فدينه مثل الطبيعة حيث لا تميز في العطاء بل تسخو على الجميع. هؤلاء الشعراء حاولوا أن يوحّدوا الصفوف فبثّوا في الناس روح التسامح وعلموهم حسن التعامل ونبذ التناحر وأيقظوا في ضمائرهم الوعىَ الوطني بالقصائد والأشعار. فعلى ما نرى أن مشاركة الأعياد الإسلامية وإلقاء الخطب وإنشاد الأشعار في هذا المجال، معظمها نبعت من عاطفة قومية عربية وهكذا نشأت من الرؤية السمحة تجاه الأديان، حيث ان الأديان من حيث مبادئها السامية لا تتناقض في جوهرها وغايتها بل تهدف إلى خير البشر أجمعين، فالنفعيين يفرقون بين الشعوب ويشعلون نيران الحروب الطائفية، فيأثارة الفتن بين السكان، يخضعون الشعوب للسلطان.

ونرى الشاعر القروي يدين بالعروبة ويتمزق غضباً وحقداً ويحترق المأً وغيظاً على الذين سلبوا العروبة حرّيتها، يقول القروي: «انني أدين بالقومية العربية وأنا كنتصراي أفخر بنصرانتي وأؤمن بأنه لولا الإسلام ما كانت القومية العربية ... ولكننا الآن أمام أمم معادية، تُرهبها قوة القومية العربية، فيجب أن ندين بها ونعمل لها نُرهَبَ هؤلاء الأعداء، فالعروبة ملأت قلبه بحبّ المصطفى:

شغلت قلبي بحبّ المصطفى وغدت عروبيّ مَثَلِي الأعلى وإسلامي»

(قاسم، الشاعر القروي، ص ٦٣٨)

فالدين الذي يؤمن به الشاعر هو دين القومية العربية «التي تجعل من العربي أحمًا ونصيراً وسنداً لكلّ ذي ملّة ودين في وطنه». (الناعوري، أدب المهجر، ص ٥١٣)
فلنستمع إليه حيث قال:

يا مُسلمونَ ويا نصارى ديتكم دِينُ العروبةِ واحدٌ لا اثنانِ

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٤٤٤)

ونراه يفتخر بأجداد العرب في كثير من قصائده ويثّ روح الإيمان بالعروبة في المهاجرين ويذكرهم بذكريات آباؤهم الميامين ويرى أن المذاهب، فرقتهم وبددت شملهم، فيدعو إلى التلاحم:

ولكنني أصبو إلى عيد أمة محررة الأعناق من رقّ أعجمي
إلى علم من نسج عيسى وأحمد (وآمنة) في ظله أخت (مريم)
هبوني عيداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثمانني على دين برهم!
فقد مزّقت هذي المذاهب شملنا وقد حطمتنا بين ناب ومنسم

(مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي، ص ٣٩٢)

هؤلاء الشعراء رأوا الطائفية والمذهبية أمراضاً أضعفت جسم الوطن العربي وهدمته فاعتقدوا بأن الاجتماع تحت راية العروبة وهي التي لا تميز ديناً على دين ولا تفضل طائفة على طائفة ستحلّ

المشكلات وتزبل التناحرات. فالعروبة خير وسيلة للقضاء على التعصب وانها تربط أبناء العرب كلهم على رغم من كل الفروق والاختلافات، العروبة تذيب كل الحدود المصطنعة التي أوجدتها الأيدي الشريرة، فلنستمع إلى إلياس فرحات وهو يصور العروبة أما تضمّ جميع أبنائها:

ليست عروبتنا طقوسَ ديانة تذكي الجهالة بالتعصب نارها
ليست تميّز أحمداً عن بطرس فالأمُ ترعى بالسواء صغارها

(قطامي، إلياس فرحات، ص ١٣٢)

ولهذا نجده يفتخر بالني (ص) الذي وحد العرب، وهذا يبدو واضحاً في قصيدة «يا رسول الله» فنرى الشاعر يعتزّ بالدين الإسلامي ويفتخر به، فهذا الفخر ينبع من اعتزازه بالعروبة، فهو يعتقد أن الإسلام استطاع أن يوحد العرب تحت راية واحدة وجمع شملهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

فهذه الروح الإنسانية والمحبة والإخاء والتسامح التي رأيناها في أشعارهم جاءت كردّة فعل لظروف التي واجهوها في وطنهم، فمما دفع بهم إلى الهجرة هو التعصب والأحقاد، فأخذوا يروجون روح التسامح ورحابة الصدر ويشيعون الحب والإخاء ويهاجمون كل من كان سبباً من أسباب التعصب. ويصّبون نيران غضبهم على التعصب بجميع أشكاله. فلا شك أن ما مرّ عليهم في لبنان أعني الحروب الطائفية قد أسهم في التحرر من قيود الطائفية ونبذ التعصب الدينية والنفور منها وخلق مناخ في المهجر يعاكس تماماً مناخ الكبت والاضطهاد التي وجد في أوطانهم. فالاضطهادات التي دفعت معظم المسيحيين إلى الهجرة قد حدثت بهم نحو التسامح والتحرر.

ويرى الأستاذ أنيس المقدسي: «ان احتكاك المهاجرين بأقوام يعظمون الجامعة الوطنية ويرفعونها فوق التعصب الدينية أثار في نفوسهم عاطفة النفور من التعصب الديني وقادهم إلى شيء من الحرية الفكرية والدينية فدعوا العرب كافة إلى نبذ التعصب الذي يوقع الأمة في الهوان والمذلة، دعوهم إلى التعاون الوطني والتساهل في الأمور والإعراض عن التفرقة الدينية».

(المقدسي، ١٩٩٨، ص ٢٨٤)

محمل القول هو أن بعض شعراء المهجر الجنوبي مدحوا النبي لأنه قائد عربي فذ استطاع أن يوحد بين القبائل المتشقة والشراذم المتناحرة ويجمعهم تحت راية واحدة فحطم أوثان الشر والفساد ونقل العرب من غياهب الجهل والتخلف إلى فضاء العلم والنهضة، وكتب صفحات خالدة مشرقة في تاريخ العرب. فتمنوا أن ترجع تلك العصور الزاهية والأعجاب الغابرة من جديد.

النتيجة

توصّل هذا البحث الذي هو جزء من أطروحتي بعد الوقوف على عشرات الكتب في مجال الشعر

المهجري إلى ما يلي:

كانت مضامين المديح النبوي تدور سابقاً حول النسب النبوي، ذكر فضائل النبي وصفاته وسيرته الحميدة،

التحدث عن معجزات النبي، التحذير من هوى النفس، التحدث عن القرآن، التحدث عن الإسراء، ذكر جهاد الرسول، التوسل والتشفع بالنبي، المناجاة والتضرع إليه، تصوير مصائب أهل البيت.

أما مضامين هؤلاء الشعراء تتجه غالباً نحو استحياء مواقف العزة في تاريخ الإسلام والتغني بالماضي واستدعائه والشكوى مما آل إليه حال العرب واستنهاض الهمم والدعوة إلى يقظة تعيد للعروبة أمجادها من جديد. وكذلك دارت مضامينهم حول التحسر مما آل إليه حال العرب ومناجاة الرسول لجمع شتات العرب، بيان فضل الإسلام ورسوله في حفظ اللغة العربية من الزوال والاضمحلال، مقايسة أحوال الغرب وتخبطهم في الظلام مع أهل الشرق وأمجادهم، الاعتزاز والافتخار بعظمة الإسلام وأمجاد العرب وانتصارهم على العدى مثل كسرى وعاهل الرومان. التحدث عن ليلة الإسراء والقدس الشريفة وقضية فلسطين، التأثر بالأسلوب القرآني واستخدام بعض مفرداته، التحسر على عصور الإسلام الزاهية وقيادته الرشيدة والتمني لو أن قائداً يعيد أمجاد الماضي، التوجه نحو وحدة الأديان وذكر أسماء الأنبياء العظام معاً والافتخار بهم، التأكيد على المساواة ومعاملة النبي بالعدالة مع الجميع دون أيّ تمييز عنصري، الدعوة إلى التلاحم، التحسر على مجد الإسلام وأيام أندلس الزاهية، التشفع بالنبي وفاطمة الزهراء.

بعض هؤلاء الشعراء اتخذوا المديح النبوي كوسيلة للتحدث عن الأغراض الاجتماعية والسياسية والقضايا العربية مثل قضية فلسطين.

تبين من خلال البحث أن موقف شعراء المهجر المسيحيين عامة موقف احترام وأخوة تجاه الإسلام ونبيه الكريم (ص).

يتضح لنا مما سبق أن أغلب القصائد التي أنشدت في مجال المديح النبوي في الشعر المهجري تعتمد على الوزن والقافية إذ أن أكثر هؤلاء الشعراء ينتمون إلى العصبة الأندلسية، فأصحاب العصبة الأندلسية يتبعون خطوات المدرسة التقليدية في موضوعاتها من مدح وهجاء وفخر ورتاء ويتبرسمون الأساليب الفصحى ويتقيدون بأحكامها.

لم يكن لدى شعراء المهجر معارضة شعرية ينهجون فيها نهج البوصيري في الأساليب والأغراض الشعرية التي تطرق إليها في المديح النبوي.

تبين أثناء الدراسة أن العوامل التي حدث ببعض الشعراء إلى المديح النبوي سابقاً هي: الدفاع عن الرسول الكريم (ص) ورسالته، التعبير عن الحب والولاء لرسول الله، الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية السيئة مثل الفقر والحرمان، الكوارث الطبيعية، هجوم العدى، الجري وراء سنة التقليد والمعارضات الشعرية وغيرها.

أما شعراء المهجر مدحوا النبي (ص) لعوامل مختلفة منها:

التعرف على الثقافة الإسلامية والتأثر بها واعتناق الإسلام قد حدا ببعض المهجرين مثل أبي الفضل الوليد إلى المديح النبوي والاعتزاز بعقيدته الجديدة.

تشيع ظاهرة المديح النبوي عند شعراء العصبة الأندلسية إذ أن بعض هؤلاء الشعراء تفانوا في سبيل عربيتهم فكانوا ينظمون الشعر الوطني، ومنه ذو الطابع الإسلامي، باعتبار أن ذلك لا يتجزأ من تاريخهم وحضارتهم وعنصر لغتهم، فالتجمع تحت راية العروبة قادهم إلى التسامح الديني والمديح النبوي. أما بعض أصحاب الرابطة القلمية ومن تأثر بهم من شعراء المهجر الجنوبي مثل شكر الله الجر اعتقدوا بوحدة الأديان، فعلى أساس هذه الفكرة نظروا إلى جميع الأنبياء ومنهم محمد (ص) نظرة إكبار وإجلال وعبر بعضهم عن هذا في أديهم. لكن مديحهم في الشعر كان قليلاً لأنهم تعرفوا على مناهج المدرسة الرومانسية في التفكير والتعبير، فلم يكونوا يهتمون بالموضوعات التقليدية بل حاولوا التجديد في الموضوعات والمعاني والألفاظ، فنبذوا الموضوعات التقليدية من مدح وهجاء وفخر وغزل وتحذوا عن موضوعات أخرى جديدة مثل الحقائق الكونية والبشرية وشقوا الطريق إلى آفاق إنسانية أرحب وقّلّ لديهم أدب المناسبات. هؤلاء الشعراء اهتموا بموضوعات أخرى جديدة مثل التأمل في الكون والنفس والطبيعة وتحذوا عن وحدة الوجود، التقمص، حنين النفس إلى موطنها الأصلي في السماء، السعادة، العدالة، الغاب، المساواة بين البشر، الحب وعاطفة الأخوة الإنسانية وغير ذلك. وعلى هذا فقلما تجد لهم شعراً في مجال المديح.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

- ١- أبو فاضل، ربعة بديع. (٢٠٠٤)، جبران والتراث العربي، بيروت، لبنان: دار المشرق.
- ٢- أبو فاضل، ربعة بديع. (١٩٩٢)، الفكر الديني في الأدب المهجري، بيروت: دار الجيل.
- ٣- أبو فاضل، ربعة بديع. (١٩٩٣)، فوزي المعلوم، شاعر الألم والحلم، لبنان، بيروت: دار المشرق.
- ٤- الاسكندري، أحمد. (١٩٥١)، المنتخب من أدب العرب، الجزء الرابع، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- ٥- الأشتري، عبد الكريم. (٢٠٠٢)، أوراق مهجرية، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- ٦- باشا، عمر موسى. (١٩٧٢)، ابن نبأته المصري امير شعراء المشرق، القاهرة: دار المعارف.
- ٧- جبر، جميل. (٢٠٠٢)، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، بيروت: دار الجيل.
- ٨- حسن، جاد حسن. (١٩٨٥)، الأدب العربي في المهجر، قطر: دار قطري بن الفجاءة.
- ٩- خفاجي، محمد عبد المنعم. (١٩٩٠)، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث، بيروت: دار الجيل.
- ١٠- خفاجي، محمد عبد المنعم. (١٩٨٦)، قصة الأدب المهجري، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ١١- سراج، نادرة جميل. (١٩٦٤)، شعراء الرابطة القلمية، مصر: دار المعارف.
- ١٢- طالب، وضحاء فخري. (٢٠٠٢)، جبران خليل جبران بإيجاز، بيسان للنشر والتوزيع.
- ١٣- الطباع، عمر فاروق. (٢٠٠٤)، ديوان البوصيري، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- ١٤- عبد الدائم، صابر. (١٩٩٣)، أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف.
- ١٥- عبد الشهيد، صموئيل. (١٩٧٥)، فوزي المعلوم، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ١٦- فتوح، عيسى. (١٩٩٤)، من أعلام الأدب العربي الحديث، دمشق: دار الفاضل.
- ١٧- فهمي، ماهر حسن. قضايا في الأدب والنقد، قطر، الدوحة: دار الثقافة.
- ١٨- قاسم، محمد أحمد. الشاعر القروي (الأعمال الكاملة)، النشر.
- ١٩- قره علي، محمد. (١٩٥٤)، شعر من المهجر، دار الإنصاف.
- ٢٠- قطامي، سمير بدوان. إلياس فرحات، شاعر العرب في المهجر، حياته وشعره، القاهرة: دار المعارف.
- ٢١- كبا، إميل. (١٩٩٥)، ديوان أحمد شوقي، الجزء الأول، بيروت: دار الجيل.
- ٢٢- الكيالي، سامي. (١٩٦٨)، الأدب العربي المعاصر في سورية، مصر: دار المعارف.
- ٢٣- المقدسي، أنيس. (١٩٩٨)، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت: دار العلم للملايين.
- ٢٤- مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي (الأعمال الكاملة)، الشعر، لبنان: منشورات جروس برس.
- ٢٥- ميرزا، زهير. (١٩٦٣)، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر: دار اليقظة العربية.

٢٦- الناعوري، عيسى. أدب المهجر، مصر: دار المعارف.

٢٧- نعيمة، ميخائيل. (١٩٨٧)، مقالات متفرقة، بيروت: دار العلم للملايين.

دکتر محمد خاقانی

محمدرضا عزیزی پور

چکیده

مدح پیامبر (ص) یکی از موضوعات قدیمی است که شعراء به آن اهتمام ورزیده اند. از آغاز طلوع اسلام تاکنون، بسیاری از شعراء احساسات پرشور خود را نسبت به رسول الله (ص) ابراز داشته و با شعر خود به دفاع از پیامبر اکرم (ص) و رسالت او برخاسته اند.

در عصر حاضر (نیز) تعدادی از شعراء مسیحی مهجر قصابی را در مدح پیامبر می سرایند و عربها را به تسامح، برادری و اتحاد، فرا می خوانند.

چه افکار و انگیزه هایی باعث شده است این شاعران تا به مدیح نبوی پردازند؟ در حقیقت برخی از شعراء مهجر به وحدت ادیان اعتقاد پیدا کردند و از این جهت به پیامبر (ص) به دیده احترام و اکرام نگریستند.

برخی دیگر از شعراء مهجر که تعدادشان بیشتر است، بدین علت پیامبر (ص) را ستودند که او عربها را از حضيض جهالت و عقب ماندگی نجات داد و به فضای علم و پیشرفت منتقل ساخت. این شعراء آرزوی بازگشت دوباره دوران با شکوه اسلام را داشتند و پیامبر در نزد آنها به نمادی برای بیان موضوعات ناسیونالیستی مبدل شد. این شاعران میهن دوستی را دین خود و عربیت را محور آن قرار داده، و همین امر باعث روی آوردن آنها به تسامح دینی و مدیح نبوی شد.

آشنایی با فرهنگ اسلامی و تاثیرپذیری از آن نیز، عامل دیگری است که برخی از آنها شاعران به مدیح نبوی سوق داده است.

واژه های کلیدی: مدیح نبوی، شعر مهجر، ادبیات متعهد.